سلسلة أخبار أجواد الصحابة

سعد بن عبادة رضي الله عنه

سيد الخزرج الجواد ابن الجواد

محمد شريف عدنان الصواف

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

سعد بن عبادة رضي الله عنه

محمد شريف عدنان الصواف – الرياض

٦٢ ص، ١٧X ٢٤ سم – (سلسلة أخبار أجواد الصحابة)

ردمك: ٤ – ٧٢٣ – ٢٠ – ٩٩٦٠م

١– سعد بن عبادة ٢– الصحابة والتابعون

أ– العنوان ب – السلسلة

ديوي ٩، ٢٣٩ ٢١/٢٠٥٥

ردمك: ٤ – ٧٢٣ – ٢٠ – ٩٩٦٠م رقم الإيداع ٢١/٢٠٥٥

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض – العليا – طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الرجل

- «إنَّ الأخلاق بيد الله، فمن أراد أن يمنحه منها خُلقاً صالحاً منحه، ولقد منحك الله- يا سعد- خُلُقاً صالحاً».

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

- كان عَقَبياً، نقيباً، سيداً، جواداً.

الحافظ الذهبي

المقدمة

الحمد لله الذي أكرم المسلمين برسالة السماء، ودين الحق والرشاد، وأنار الوجود ببعثة نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥]وإنَّ المتأمل للمدى الواسع الذي بلغه الإسلام من الانتشار في أقاصي المعمورة ليدرك بسهولة أي جهد، وأي تضحية قدَّمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأصحابه الكرام حتى حملوا هذه الرسالة، وبلَّغوها قدر وسعهم، واستطاعتهم، واستطاعوا بوسائلهم المحدودة، وإمكاناتهم البسيطة نشر الإسلام في رقعة بلغت نصف العالم القديم في أقل من خمسين سنة؛ فقد توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجيوش المسلمين على مشارف الشام، واستشهد عثمان رضي الله عنه وجيوشه قد وصلت إلى أقصى بلاد ما وراء النهر، ومشارف الهند شرقاً، وطلائعه في بلاد الأندلس غرباً.

والحقيقة أن كل ذلك لم يكن ليتحقق في هذه الفترة الوجيزة، لولا صدق القائمين عليه، والعاملين فيه، وبذلهم المُهَجَ والأموال في سبيل الهدف الأول والأخير، ألا وهو رضاء الله، وكأنَّ لسان حالهم يقول: إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي.

ومما لاشك فيه أننا بحاجة -من حين إلى آخر- أن نعود إلى سِيَرِ هؤلاء الأبطال وأخبارهم، نتعلم منهم، ونُكبرُ فِعالهم، ونُقِرُّ لهم بالسبقِ والفضل،

ونحاول الاقتداء بهم قدر جهدنا وطاقتنا وشعارنا قول الشاعر:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبُّــهَ بالكـرام فَلاَحُ

وسعد بن عبادة – الذي نحن بصدد الحديث عنه – هو واحد من أوائل المؤمنين الباذلين في سبيل الله، ونصرة رسوله بكل ما يملك، ولذلك كان أهلاً لثناء الله ورسوله عليه في أكثر من موقف، وسجَّل له التاريخ من الأعمال ما يجعله أهلاً لكلِ ثناء وتكريم إلى قيام الساعة، وعند لقاء الله يوم الدين.

وأنا إذ أُقَدِّم هذا الكتاب، أرجو أن أُوفق في عرض صورة مُشرِقةٍ صحيحة عنه، وأن يتقبل الله مني عملي هذا ويجعله في صحيفتي وصحيفة آبائي إنه تعالى مجيب، قريب والحمد لله رب العالمين.

محمد شريف الصواف

الفصل الأول
دراسة موجزة
عن عصر سعد رضي الله عنه

لقد أشرقت الأرض برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والعرب أوزاع متفرقة في أرجاء الجزيرة العربية مزَّقتهم الأحقاد، واستحكمت فيهم الثارات، وكَثُرَتْ بينهم الدماء، وكانت يثرب نموذجاً واضحاً لهذا الصراع فقد كانت تُقيم فيها قبيلتان عربيتان هما: الأوس والخزرج، وبجوارهما ثلاث عشائر من اليهود هم: بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع. وكان الأوس والخزرج أولاد عم، ولكنَّ اليهود كانوا يسعون بكل ما أوتوا لإثارة النَّعَرات بينهم، وكانوا كُلَّمَا خَمَدَتْ نيران الفتنة بينهم أثاروها، وأشعلوها.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكة يدعو قومه إلى دين الله سراً وعلانية، لا يَفتر، ولا يَمَلُّ على الرغم من ما يتعرَّض له من إيذاء له وتعذيب لأصحابه ربما وصل إلى الموت والقتل، وقد أمَرَ صلى الله عليه وآله وسلم عدداً من ضعفاء أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، هرباً من بطش المشركين حتى يأذنَ الله بنُصرَةِ رسوله، ونُصْرَةِ دينه، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يعرضِ نفسه على قبائل العرب في مواسم أسواقهم، وعند قدومهم مكة حُجَّاجاً أو معتمرين، يطلب منهم الإيمان برسالته، أو حمايته حتى يُبَلِّغها

للناس، فمنهم من يُعرِضُ عنه، ومنهم من يَرُدُّه رداً جميلاً، ومنهم من يؤذيه ويستهزئ به.

وكان الأنصار من أهل المدينة يعلمون خبر نبي آخر الزمان، وأنَّ الله سيبعث على إثر موسى وعيسى نبياً يختم به الرسالة، ويُتِمُّ التشريع، وكان اليهود يقولون لأهل يثرب: إنَّ الله سيبعث لنا معشر يهود نبياً نقاتلكم معه، فنقتُلكم قَتْلَ عاد وإرم، فلما عرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه ودينه على طليعة الأنصار، عرفوا أمره، وسارعوا إليه، وقال بعضهم لبعض: والله إن هذا لهو النبي الذي كانت اليهود تُحَدِّثكم عنه، فإياكم أن يسبقوكم إليه، وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى الله أن يجمعهم بك، فَسَنَقْدُمُ عليهم، فندعوهم إلى أمرك، فإن يجمعهم الله عليك، فلا رجل أعزُّ منك[1].

ثمَّ عاد هؤلاء المسلمون إلى المدينة يدعون قومهم إلى دين الله، ووافى رسول الله في العام المقبل اثنا عشر رجلاً منهم، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيعة العقبة الأولى، وبعث معهم صلى الله عليه وآله وسلم مصعب بن عمير داعياً إلى الله تعالى، فلما كان العام القادم جاء ثلاثة وسبعون رجلاً من الأنصار معهم امرأتان من نسائهم فلقوا رسول الله صلى الله

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٧١.

عليه وآله وسلم ليلاً عند العقبة، ومع رسول الله عمُّه العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه، فقال: يا معشر الأوس والخزرج، هذا ابن أخي، وهو أحبُّ الناس إليَّ، فإني أريد أن آخُذَ عليكم موثِقاً تطمئن به نفسي، فإنَّ جيرانكم اليهود، وهم قوم غدرٍ، ولهُ عدو.

فقام أسعد بن زرارة، فقال: نحن قطعنا القريب، والبعيد، وذا الرحم ونشهد أنه رسول الله، نبايعه على نصرته، ونمنعهُ – نحميه – مما نمنع منه أنفسنا، ونبايعُ ربنا وربك، يد الله فوق أيدينا، ودماؤنا دون دمه، والله المستعان[1].

وتسابقوا إلى بيعته صلى الله عليه وآله وسلم، ثمَّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه في مكة: «**قد جعل الله لكم في المدينة إخواناً وداراً تأمنون بها**» فخرجوا أرسالاً جماعاتٍ إثر جماعات، حتى أذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالهجرة فهاجر يصحبه أبو بكر الصديق وأسس في يثرب – التي أصبح اسمها المدينة المنورة– دولة الإسلام، ودولة الحقِّ، على أسس من التقوى، والتوحيد، والأخوة الإنسانية.

ولكنَّ أعداء الإسلام ظلُّوا على عدائهم، وكيدهم له، فتحالف اليهود مع المنافقين من أهل المدينة على تخريب بنيان الإسلام من الداخل، وذهب المشركون من أهل مكة يُجَمِّعُون العدد والعُدَّة لمحاربة رسول الله صلى الله

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٨٤.

عليه وآله وسلم، وكانت بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم سلسلة من المعارك بدأت ببدرٍ في السنة الثانية للهجرة، وانتهت بفتح مكة في السنة الثامنة للهجرة.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرايا الدعاة والمقاتلين في أرجاء جزيرة العرب، وبعث الرسائل إلى أمراء العرب، وإلى الملوك حول الجزيرة ولم يمضِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى لقاء ربه في السنة الحادية عشرة للهجرة إلا وقد دخل أكثر العرب في دين الله طوعاً، أو كرهاً، رغبة، أو طمعاً، وغَدَتْ الجزيرة العربية لأول مرَّة في تاريخ العروبة دولة واحدة لا فضل فيها لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح.

وتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يُسَمِّ خليفةً له، وكان المسلمون بعد وفاته ثلاث فرِق: الأنصار بزعامةِ سعد بن عبادة يريدون تولية أمر المسلمين لأحد زعماء الأنصار، وبنو هاشم ويريدون تولية أمر المسلمين لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفرقةُ عامة المسلمين الذين بايعوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

وكان أن اجتمع الأنصار بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سقيفة بني ساعدة، يتشاورون فيمن يتولَّى أمر المسلمين بعده، فبلغ خبرهم أباعبيدة رضي الله عنه، وأخبر أبا بكر بذلك فجاء أبو بكر إليهم ومعه أبو

عبيدة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم – وبنو هاشم وفي مقدمتهم عليٌّ رضي الله عنه، وتَخَلّف جماعة عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه، منهم خالدٌ وعمرو ولدا سعيد بن العاص، وبنو هاشم، رضي الله عنهم، ثمَّ ما لبثوا أن بايعوا أبا بكرٍ واستقرَّ أمر المسلمين عليه رضي الله عنه، فكان خير خلفٍ لخير سلفٍ، ثبَّت أمرَ الإسلام، وحارب المرتدين، وسيَّر الجيوش لفتح الشام والعراق، وحَسَمَ رضي الله عنه الأمرَ من بعده، فولَّى الخلافة لعمر رضي الله عنه بعد أن شاور رؤوس الأنصار والمهاجرين، ثمَّ توفيَ أبو بكرٍ، ووليَ عمرُ رضي الله عنه الخلافة بإجماع من المسلمين، وساسَ عمر أمر المسلمين بالحزم، والعدل، واتسعت في زمنه رقعة بلاد الإسلام توسعاً كبيراً، وفاضت الخيرات على المسلمين، وكان عمرُ أوَّل مؤسس لنظام الدولة الإسلامية بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واستطاع أن يُسَيّرَ أمور الدولة على أحسن حالٍ عشر سنين حتى اغتالته يدُ المجوسي الغادرة.

وهكذا فقد كانت الفترة التي عاشها سعدٌ فترةً عصيبة مليئة بالأحداث الجسام التي كادت أن تقضي على الإسلام في مهده لولا رعاية الله وفضله ثم حكمة الصحابة وإخلاصهم رضي الله عنهم.

الفصل الثاني
فضل الأنصار
وثناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ينتمي الأنصارإلى الأوس، والخزرج، وهما قبيلتان من ولد قحطان كانتا تسكنان يثرب قبل الإسلام، وكان اليهود جيران الأنصار في يثرب يثيرون الفتن والخلافات فيما بينهما فتقع المعارك والحروب، وكان آخرها بُعاث قبل هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأعوام.

وسبق معنا كيف أن الأنصار بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الإسلام، وعلى نصرته وإيوائه، وقد صدق الأنصار الله ورسوله على ما بايعوا عليه، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم آخى بينهم وبين المهاجرين، فجعل لكل واحد من الأنصار أخاً من المهاجرين الفقراء الذين تركوا أموالهم وأهليهم في مكة، وأمره صلى الله عليه وآله وسلم بالإحسان إليه، ولقد ضرب الأنصار في معاملتهم للمهاجرين أروع صور الإيثار والتضحية، والإكرام، وفعلوا طواعية منهم، ورغبة في ثواب الله، ما لم تستطع حكومة أو نظام إجبار مواطنيها على فعل معْشَارِ ذلك، وقد أثنى الله تعالى على فعلهم هذا بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ**

بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

ومن صور هذا الإيثار العظيم ما رواه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: لما قدم المهاجرون المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين عبدالرحمن عوف، وسعد بن الربيع الأنصاري، فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم مالي نصفين بيني وبينك، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك أُطَلقْهَا، فإذا انقضت عدتها فَتَزوَّجها [(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالت الأنصار للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: اقسم بيننا وبينهم النخلَ. فقال: «**لا، تكفونا المؤونة، وتشركونا في التمر**»[(٢)].

وحارب الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جميع حروبه، وقام سعد بن معاذ رضي الله عنه – سيد الأوس– خطيباً في بدرٍ فقال: إنَّا قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك عهودنا على السمع والطاعة، ولعلك يا رسول الله تخشى ألا تكون الأنصار ترى عليها أن ينصروك إلا في ديارهم، وإني أقول عن الأنصار، وأُجيب عنهم، فاظعن يا رسول الله حيث شئت، وصِل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وسالم من شئت، وعادِ من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركتَ، وما أمرتَ فينا من أمرٍ فأمرنا تبع

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٦٩).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٥٧٠).

لأمرك، فامضِ يا رسول الله لما أردتَ، فنحن معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلَّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوَّنا غداً، إنَّا لَصُبرٌ في الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، ولعل الله يُرِيكَ منا ما تَقَرُّ به عينك، فسِر على بركة الله[1].

وقد حَفِظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الودَّ للأنصار، وشكرَ لهم بلاءهم في نصرة الإسلام، وأثنى عليهم في مواضع كثيرة ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لو أنَّ الأنصار سلكوا وادياً أوشعباً لسلكتُ وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنتُ امرءاً من الأنصارِ**»[2].

وجاءت امرأةٌ من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها: «**والذي نفسي بيده إنكم لأحب الناس إليَّ، ثلاث مراتٍ**»[3].

وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمغفرة للأنصار وأبنائهم فقال: «**اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار، ولنساء الأنصار**»[4].

وجعل صلى الله عليه وآله وسلم من محبة الأنصار علامةً من علامات

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٦٧.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٧٧٩) - والترمذي برقم (٣٩٠١).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٧٨٦)- ومسلم برقم (٢٥٠٩).

(٤) أخرجه الترمذي برقم (٣٩٠٩) - ومسلم برقم (٢٥٠٦) بألفاظ متقاربة.

الإيمان إلى يوم القيامة، ومن بغضهم علامة من علامات النفاق، فقال: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**»[1].

وفي رواية :«**آية الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النفاق بُغضُ الأنصار**»[2] وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين، ومن بعده من الأمراء بالأنصار خيراً ،وذلك في مرض وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، فقد روى أنس رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد عصب على رأسه حاشية بُرده، فصعد المنبر، ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله، وأثنى عليه، ثمَّ قال: «**أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي - كناية عن أنهم موضع سره وأمانته صلى الله عليه وآله وسلم- وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**»[3].

ولا شك أن الأنصار رضي الله عنهم إنما استحقوا هذا الثناء، وهذه المنزلة بما قدموه، وبذلوه في سبيل دين الله، فجزاهم الله عن رسوله وعن المسلمين خير الجزاء، وجعلنا من المقتدين بهم السائرين على منهاجهم، رضي الله عنهم وعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجمعين.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٧٢)- ومسلم برقم (٧٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٧) - ومسلم برقم (٧٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٥٨٨).

الفصل الثالث
إسلام سعد بن عبادة رضي الله عنه، وحضوره الموقف مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لقد جاء الإسلام وسعد بن عبادة – رضي الله عنه– سيد الخزرج في المدينة ورث السيادة عن أبيه وأجداده، وقد عُرِف هو وأجداده من قبله بالجود والكرم.

وقد أوتيَ سعدٌ عدداً من المؤهلات العلمية والعملية إضافة إلى ما ورثه من الكرم، والشرف، والسيادة عن آبائه، فكان يُتقنُ الكتابة، ويُحسِنُ العوم والرمي، وكان من أحسن ذلك كله يسمى الكامل[1].

ولـمَّا أكرم الله الأنصار بلقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالعقبة الأولى وأرسل معهم مصعب بن عمير –رضي الله عنه – داعياً إلى المدينة أسلم سعدٌ مع أوائل المسلمين من الأنصار، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في العقبة الثانية، وبايعه مع المبايعين، وكان أحد النقباء الاثني عشر[2].

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٩/ ٢٣٦ - تهذيب الكمال ١٠/ ٢٧٩.
(٢) المرجعان السابقان ٩/ ٢٣٦، ١٠/ ٢٧٩.

وكان سعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وأبو دجانة رضي الله عنهم لما أسلموا يكسرون أصنام بني ساعدة في المدينة [1].

وقد روى ابن إسحاق أنَّ قريشاً علمت بأمر الأنصار، وبيعتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة، فانطلقوا في طلب القوم فأدركوا سعد ابن عبادة، فشدوا يديه إلى عنقه، وكان ذا شعرٍ كثير، فطفقوا يجبذونه بجُمَّته ويصكونه ويلكزُونه. قال سعد: فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ طلع نفرٌ من قريش فيهم فتى أبيض حلو شعشاع، وضيء، فقلتُ: إن يكُ عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند هذا، فلما دنا مني رفع يده فلكمني لكمة شديدة، فقلت: والله ما في القوم خيرٌ بعد هذا، فوالله إني لفي أيديهم إذ غمز رجل منهم فخذي فقال: هل بينك وبين أحد من قريش عهدٌ؟ فقلت: نعم، قد كنت أجير للمطعم بن عَدي وللحارث بن أمية ركائبهما إذا قدموا علينا. فقال: لا أبا لكَ اهتفْ بالرجلين، ففعلتُ، فذهب إليهما فقال: إنَّ هذا الرجلَ الذي في أيدي نفر من قريش يعبثون به يهتف بكما، يزعم أنه قد كان بينه وبينكما عقد وجوار. فقالا: مَنْ هو؟ فقال: سعد بن عبادة. فقالا: صَدَقَ والله، وإن كان ليَفعل. ثم جاءا إليَّ حتى أطلقاني من أيديهم، ثم خلَّيا سبيلي، فانطلقت [2].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٩/ ٢٣٦.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٩١، ٩٢ - مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٢٣٨.

وكان سعد بن عبادة مع بقية الأنصار والمهاجرين ينتظر هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، فلما وصلها صلى الله عليه وآله وسلم بصحبته أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه، كان سعدٌ – رضي الله عنه– مع الحشود المستقبلة له عند مشارف المدينة، ثمَّ لمَّا دخل صلى الله عليه وآله وسلم المدينة كان سعدٌ حريصاً على استضافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في داره فما أن وصلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مشارف بيوت بني ساعدة حتى اعترضها سعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو مع رجال من بني ساعدة، فقالوا: يا رسول الله، هَلُمَّ إلينا إلى العدد، والعدَّة، والمنعة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **خلُّوا سبيلها– يريد الناقة– فإنها مأمورة**[1].

ثمَّ استقر أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبنى مسجده وبيته في المكان الذي بركت فيه ناقته، وكان سعدٌ قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جميع تحركاته، وكان وزيرَ صدق له، يثق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برأيه ويكثر من مشورته، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يعود سعداً إذا مرض[2].

وقد روى ابن اسحاق أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصل المدينة لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول، فأقام فيها بقية تلك السنة، فلما

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٤٠.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٣٦.

كان صفر من العام القادم خرج غازياً يريد الأبواء، ولم يلق أحداً، وكان قد استعمل سعد بن عبادة أميراً على المدينة في غيبته.

ولقد كانت بين سعدٍ واليهود في المدينة تحالفات قديمة، وكان اليهود يخبرون الأنصار عن نبي آخر الزمان، وقرب ظهوره، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ناصبه اليهود أشدَّ العداء، وكادوا له كلَّ صنوف المؤمرات، بما في ذلك محالفة أعدائه، والتآمر على قتله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا اليهود إلى الإسلام ورغبهم فيه، وحذَّرهم عقوبة الله، فلما أبوا وكفروا، قال لهم سعد ابن عبادة وسعد بن معاذ، وعقبة بن وهب - وهم حلفاؤهم قبل الإسلام-: يا معشر يهود، اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه لنا بصفته، فقام رافع بن حريملة؛ ووهب ابن يهوذا من اليهود فقالا: ما كنا نقول ذلك قط، وما أنزل الله تعالى من كتاب بعد موسى، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً؛ فأنزل الله تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [المائدة: ١٩][(١)].

ولقد شهد سعدٌ كل المواطن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان صاحب راية الأنصار، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كانت

(١) السيرة النبوية ٢/ ٢١٢، ٢٤٠.

راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المواطن كلها؛ راية المهاجرين مع علي بن أبي طالب، وراية الأنصار مع سعد بن عبادة[١].

وقد اختلف رواة الأخبار في حضور سعد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فروى أكثرهم أن سعداً لم يشهد بدراً، وأنه كان يتهيأ للخروج إلى بدرٍ ويأتي دور الأنصار يحضهم على الخروج، فنُهِشَ[٢]، فأقام، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**لئن كان سعد لم يشهدها، لقد كان حريصاً عليها**»[٣].

وروى بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ضرب له بسهمه وأجره[٤].

وأخرج ابن عساكر عن أنس -رضي الله عنه- قال: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إقفال أبي سفيان -رجوعه بالقافلة- قال: **أشيروا عليَّ**، فقام أبو بكر فقال له: اجلس، ثم قام عمر، فقال له: اجلس، فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله، فلو أمرتنا أن نُخِيضَهَا البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْكِ الغِمَادِ- موضع في أقصى اليمن - لفعلنا ذلك[٥].

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٢٣٩.

(٢) النهش: لسع الحية، وعضتها.

(٣) الطبقات لابن سعد ٧/ ٣٨٩ - وتهذيب الكمال ١٠/ ٨٧٢.

(٤) تهذيب الكمال ١٠/ ٢٧٨.

(٥) أخرجه الإمام أحمد ٣/ ٢٢٠، ومسلم برقم (١٧٧٩).

وعن ابن عباس قال:

لـمَّا كان يوم بدر قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: **مَنْ قتل قتيلاً فله كذا ومَنْ أسر أسيراً فله كذا، وكانوا قتلوا سبعين، وأسروا سبعين، فجاء أبو اليَسَر ابن عمرو بأسيرين فقال: يا رسول الله، إنك وعدتنا: مَنْ قَتَل قتيلاً فله كذا ومن أسر أسيراً فله كذا، فقد جئت بأسيرين.**

فقام سَعْد بن عُبادة فقال: يا رسول الله، إنَّا لم يمنعنا زهادة في الآخرة، ولا جبن عن العدو، ولكنا قمنا هذا المقام[1] خشية أن يقتطعك المشركون، فإنك إنْ تعط هؤلاء يقولون؛ فنزلت: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾ [الأنفال: ١].

فَسَلَّمُوا الغنيمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، ثم نزلت: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**﴾ [الأنفال: ٤١][2].

وممن ذكر سعداً فيمن شهد بدراً مع رسول الله البخاري في تاريخه وابن أبي حاتم، والطبراني وابن كثير في البداية والنهاية[3]،وسبق معنا حديث حواره مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم حول غنائم بدرٍ من رواية مسلم.

(١) وكان سعد وجماعة معه قاموا على حراسة النبي صلى الله عليه وآله وسلّم في عريشه يوم بدر.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٣) البداية والنهاية ٣/ ٨٩.

وقد ذكر رواة السِّير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لما أصيب في أحد وأثقلته الجراح دخل بيته وهو مستندٌ إلى سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ رضي الله عنهما.

ولما تأثَّرَ النبي صلى الله عليه وآله وسلّم من بكاء نساء الأنصار على قتلاهن، وعدم بكاء أحد على حمزة، وقال: «**ولكن حمزة لا بواكي له**» ذهب سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ، وعبد الله بن رواحة وطافوا على نساء الأنصار وقالوا لهن: لا تبكين أحداً من قتلاكن حتى تبكينَ حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم[1].

ولما تحالف المشركون من قريش، وكنانة، وغطفان، مع يهود بني قريظة في غزوة الخندق، وكان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلّم عهود ومواثيق، وعلم رسول الله بخيانتهم، أرسل سعد بن عبادة وسعد بن معاذ رضي الله عنهما مع نفرٍ من الصحابة يستطلعون أمر اليهود له وقال لهم: انطلقوا حتى تنظروا، أحقٌ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فألحِنوا لحناً أعرفه، ولا تَفُتُّوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس.

فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، وقالوا لهم: لا عهد بيننا وبين محمد، ولا عقد.

---

(١) البداية والنهاية ٤/ ٣٩.

فشاتمهم سعد بن معاذ، وشاتموه، فقال له سعد بن عبادة: دع عنا مشاتمتهم، فما سيكون بيننا وبينهم أعظم من المشاتمة، ثم أقبلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، فقالوا: عُضلُ والقارة. أي: غدرٌ كغدر عضل والقارة[1].

مشورة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسعد بن عبادة:

ولما اشتد حصار المشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وهمَّتْ بنو قريظة بالإغارة على المدينة، رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم شدَّة الأمر على المسلمين، وأراد أن يُصالح قبيلة غطفان على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة، وينصرفوا عنهم، فبعث إلى سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة يستشيرهما في ذلك، فقالا: يا رسول الله، أهو أمرٌ تحبه، فنصنعه، أم شيء أمرك الله به، فلا نترك أمر ربنا، أم هو شيء تصنعه لنا؟

فقال: **بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب.**

فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الأوثان، لا نعبد الله، ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٣.

منها تمرة إلا قِرى أو بيعاً، والله مالنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف[1].

ولما غنم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أموال بني النضير، بعث إلى الأنصار فجمعهم، وذكر إيثارهم لإخوانهم المهاجرين، وأثنى عليهم، ثم قال: **إن أحببتم قسمتُ بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليَّ من بني النضير وكان المهاجرون على ما هُمْ عَلَيْهِ من السكن في مساكنكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتموهم، وخرجوا من دوركم وأموالكم.**

فقال له سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ: بل تقسمه للمهاجرين، ويبقون في دورنا كما كانوا.

ولما دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم للإنفاق في غزوة العسرة كان سعد من السابقين إلى الإنفاق في تجهيز جيش العسرة.

وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا كتب كتاباً أو عهداً لإحدى قبائل العرب يستشهد اثنان من سادة الأنصار أو سادة قريش، وكان يستشهد سعداً، فقد روي أنه استشهد على كتاب كتبه لوفد ثمالة وحُدَّان من صحار واستشهده على كتاب إلى بني حباب من كلب وأحلافهم[2].

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٤- ورواه البزار والطبراني، مجمع الزوائد ٦/ ١٣٢.

(٢) المطوع في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/ ٢٠٣، ٢٥٠، طبقات ابن سعد ١/ ٢٨٦.

وهكذا كان سعد بن عبادة – رضي الله عنه – قريباً من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شهد معه الأحداث الخاصة والعامة، وكان أحد وزرائه ومستشاريه، وموضع ثقته، ومحبته، رضي الله عنه.

الفصل الرابع
جود سعد وسخاؤه، وإكرامه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

أولاً -جود سعد وسخاؤه:

لقد كان بيت سعد قبل الإسلام بيت جود وسخاء، فقد روى ابن سعد في طبقاته فقال: كان سعد بن عبادة، وعدة من آباء له قبله في الجاهلية ينادى على أطْمهم[1]: من أحب شحماً أو لحماً، فليأت أطْم دُلَيم بن حارثة[2].

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم مرةً: «**نِعم المرء سعد بن عبادة**» فتكلَّمت الخزرجُ فقالت: يا رسول الله، هو نقيبنا، وسيدنا، وابن سيدنا كانوا يُطعمون في المَحل ويحملون في الكَلِّ، ويُقرُون الضيف، ويعطون في النائبة ويحملون عن العشيرة، فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**خيار الناس في الإسلام خيارهم في الجاهلية إذا فقهوا في الدين**»[3].

وعن عبد الملك بن عبدالعزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة أن دليماً جدَّ سعدٍ كان يُهدي إلى مناة – صنم من أصنام الجاهلية – كل عام عشر

(١) الأطْمُ: القصرُ، وكل بيت مربع، القاموس المحيط ٤/ ١٠٢.
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٦١ - تهذيب الكمال ١٠/ ٢٧٩.
(٣) مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٤٢.

بدنات، ثمَّ كان عبادة والد سعد يهديها، ثمَّ كان سعدٌ قبل الإسلام يفعل مثل ذلك إلى أن أسلم، وكان قيس يهدي مثلها إلى الكعبة لمَّا أسلم[1].

وورث سعد عن آبائه الشرف، والسيادة، والكرم ورويت عنه في ذلك أخبارٌ كثيرة، ومن ذلك إكرامه لأهل الصُفة من فقراء المسلمين، فقد روى محمد بن سيرين قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا أمسى قسم ناساً من أهل الصُّفَّة بين ناس من أصحابه؛ فكان الرجل يذهب بالرجل والرجل يذهب بالرجلين، والرجل يذهب بالثلاثة حتى ذكر عشرة، وكان سعد بن عبادة يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين منهم يعشيهم[2].

وعن عروة بن الزبير قال: كان سعد بن عبادة يقول: اللهم، ارزقني مجداً، وارزقني حمداً، وارزقني..... اللهم، إنه لا حمد إلا بمجد، ولا مجدَ إلا بمال، ولا مال إلا بفِعَال. اللهم، إنه لا يصلحني القليل ولا أصلح له، ولا يصلحني إلا الكثير ولا أصلح إلا عليه. قال: وكان له مناد ينادي على أطْم داره: من أراد شحماً فليأت سَعداً. قال عروة بن الزبير: وأدركت ابنه قيس بن سعد يفعل مثل صنيع أبيه[3].

(١) الاستيعاب ٢/ ٦٩٥، والهَدي هو ما يذبح في الحرم ويوزع على الفقراء.
(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٢٤٤- سير أعلام النبلاء ١/ ٢٧٦- تهذيب الكمال ١٠/ ٢٨٠.
(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٢٤٤ - تهذيب الكمال ١٠/ ٢٨١.

ثانياً - إكرامه لرسول الله صلّى عليه وآله وسلّم:

لقد أكرم الله العرب عامة، وأهل المدينة من الأنصار خاصة ببعثة نبي الرحمة سيدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، فنقلهم من الجهل إلى العلم ومن الوثنية والخرافة إلى التوحيد، ودين الحق، ومن الفرقة والتنازع إلى الوحدة والتحابب، وجعل منهم خير أمة أخرجت للناس، ومهما قَدَّم المسلمون لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ومهما أكرموه فإن المنة تبقى له عليهم إلى آخر الدهر.

ولقد تنافس المسلمون في الإنفاق على رسول الله، وإكرامه، ونصرة دينه وكان سعد بن عبادة – رضي الله عنه – من السابقين في هذا المضمار، فقد سَخَّرَ نفسه وماله، وأولاده لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم منذ دخوله المدينة المنورة، ورويت عنه في ذلك الأخبار الكثيرة، وإليك بعضاً منها.

جَفْنَةُ سعد:

أخرج ابن عساكر وغيره قال: لما قدم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان سعد يبعث إليه في كل يوم جفنة[1] فيها ثريد[2] بلحم، أو ثريد بلبن، أو ثريد بخل وزيت، أو بسمن، وأكثر ذلك اللحم، فكانت جفنة سعد

(١) الجفنة: أعظم القصاع، وهي أشبه ما تكون بالحلّة، يليها الصَحفة، ثم المثكلة، ثم الصحيفة.
(٢) ثريد: الخبزُ المفتوت - الثردُ: فتُ الخبز. القاموس المحيط ١/ ٥٤٨.

تدور مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في بيوت أزواجه[1]، يرسلها سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم حيث كان.

وعن سهل بن سعد أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلّم كان يخطب المرأة ويصدقها صداقها ويَشرُط لها صَحفَةَ سعد تدور معي إذا دُرتُ إليكِ، وكان سعد يرسل إلى نبي الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بصحفة كل ليلة، حيث كان جاءته[2].

وروت عائشة رضي الله عنها قالت: **(بنى - البناء: هو دخول النكاح - بي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في بيتنا، ما نُحِرت عليَّ جزور، ولا ذُبِحَت عليَّ شاةٌ حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة -رضي الله عنه- بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا دار إلى نسائه)**[3].

وكان سعدٌ رضي الله عنه يُكثر من إتحاف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالهدايا من أطايب الطعام، ويكثر من دعوته إلى داره، ومن ذلك ما رواه ابن عساكر عن سعد بن عبادة - رضي الله عنه - أنه أتى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بصحفة، أو جفنة مملوءة مُخاً، فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: **يا أبا ثابت ما هذا؟!** فقال: والذي بعثك بالحق لقد نحرتُ - أو ذبحتُ- أربعين ذات كبد، فأحببت أن أشبعك من المخ، قال: **فأكل، ودعا**

(١) مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٣٧

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٤١.

(٣) رواه الإمام أحمد، مجمع الزوائد ٩/ ٢٢٧.

له النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بخير[1].

وعن أنس رضي الله عنه وغيره أن سعد بن عبادة دعا النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فأتاه بتمرٍ، وكِسَرٍ- وفي وجه آخر: فقرَّب إليه شيئاً من سمسم وشيئاً من تمرٍ أو زبيب - فأكل، ثم أتاه بقدح من لبن فشرب، فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**أكل طعامكم الأبرار، وأفطر عندكم الصائمون، وصلَّت عليكم الملائكة**»[2].

ولم يكتفِ سعدٌ بإطعام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في المدينة فقد روى ابن عساكر عن الواقدي أن سعدَ بن عبادة أقام في ثلاث مئة من قومه يحرس المدينة خمس ليالٍ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في غزوة الغابة، فبعث إليه سعدٌ بابنه قيس ومعه أحمال تمرٍ وعَشرُ جزائر - الناقة المذبوحة- فلما قربها قيسٌ من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال له: «**يا قيس بعثك أبوك فارساً، وقوَّى المجاهدين، وحرس المدينة من العدو، اللهم ارحم سعداً وآل سعد**».

(١) مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٤١، وذكر ابن عساكر أن الخيزران أمَّ هارون الرشيد حُدِّثَتْ بهذا الحديث، فقسمت قسماً من مالها على ولد سعد بن عبادة، وقالت: أكافئ به ولد سعد على فعله برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٤٠.

وضلت ناقةُ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في حجة الوداع، فجاءه سعد ابن عبادة بزاملةٍ- الزاملة من الإبل: مايحمل عليها- تحمل زاداً، حتى وجدا رسول الله واقفاً عند باب منزله، فقال له سعد: يا رسول الله؛ بلغنا أن زاملتك أضلّت، وهذه زاملة مكانها، فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: **قد جاء الله بزاملتنا، فارجعا بزاملتكما بارك الله عليكما، أما يكفيك يا أبا ثابت ما تصنعُ بنا في ضيافتك منذ نزلنا المدينة؟** قال سعد: يا رسول الله، المِنَّةُ لله ولرسوله، والله يارسول الله للذي تأخذُ من أموالنا أحبُّ إلينا من الذي تَدَع. قال: **صدقتم يا أبا ثابت، أبْشِرْ فقد أفلحتَ، إنَّ الأخلاقَ بيد الله فمن أراد أنْ يمنحه منها خُلُقاً صالحاً مَنَحهُ، ولقد منحك الله خُلُقاً صالحاً**. فقال سعد: الحمد لله هو فعل ذلك[1].

النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يَستَحِمُ عند سعد رضي الله عنه:

روى الإخباريون عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه كان يزور سعداً رضي الله عنه، فكان سعدٌ يُهيئ لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ماءً ساخناً، ولوازم الحمام، فكان صلّى الله عليه وآله وسلم يستحم عنده فعن قيس بن سعد رضي الله عنهما قال: زارنا النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في منزلنا، فقال: **السلام عليكم ورحمة الله**، فردَّ أبي رداً خفياً، فقلت: ألا تأذن لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟! فقال: ذَرْه حتى يكثر علينا من

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٢٤٢، ٢٤٣.

السلام، فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: **السلام عليكم ورحمة الله**، فردَّ سعد رداً خفياً، ثم قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: **السلام عليكم ورحمة الله**. ثم رجع، فاتَّبعه سعدٌ، فقال: يا رسول الله، إني كنت أسمع تسليمك، وأردُّ عليك رداً خفياً لتُكثر علينا من السلام، فانصرف معه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأمَرَ له سعد بغُسل فاغتسل، ثم ناوله ملحفة مصبوغة بزعفران، أو ورس، فاشتمل بها، ثم رفع يديه وهو يقول: «**اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد**» ثمَّ أصاب صلّى الله عليه وآله وسلّم من الطعام، فلما أراد الانصراف قَرَّب له سعدٌ حماراً قد وُطِّأَ عليه بقطيفة – ثوب من مخمل – فقال سعد: يا قيس اصحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فصحبته، فقال لي: «**اركب معي**» فأبيت فقال: «**إمَّا أن تركب، وإما أن تنصرف**»[1].

إكرامه رضي الله عنه لضيوف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

لم يكن عند النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم دارٌ للضيافة، ولم يُخَصِص شيئاً من ميزانية دولته لنفقات الضيافة والتشريفات كما تفعل كل الدول اليوم، بل كان ضيوفه صلّى الله عليه وآله وسلّم ينزلون في مسجده، أو عند أصحابه الكرام رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٥١٨٥).

وكان سعد رضي الله عنه يُكرمُ ضيوف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وننزل بعضهم في بيته، ومنهم فروة بن مسيك لما قدم وافداً على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، مفارقاً لملوك كندة[1].

وأخرج الدارقطني في كتاب الأسخياء عن يحيى بن عبدالعزيز قال: كان سعد بن عبادة يغزو سنة، ويغزو ابنه قيس بن سعد رضي الله عنهما سنة، فغزا سعدٌ مع الناس، فنزل برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ضيوف كثير، فبلغ ذلك سعداً، وهو في ذلك الجيش، فقال: إن يك قيسٌ ابني فسيقول: يا نسطاس – وهو خادمه– هات المفاتيح، أخرج لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حاجته، فيقول نسطاس: هات من أبيك كتاباً، فيدقُ أنفه، ويأخذ المفاتيح، ويُخرج لرسول الله حاجته، فكان الأمر كذلك[2].

(١) طبقات ابن سعد ١/ ٣٢٧.

(٢) الإصابة في معرفة الصحابة ٣/ ٥٥٣.

الفصل الخامس
إكرام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسعد وأهله، وثناؤه عليهم:

لقد صدق سعد بن عبادة – رضي الله عنه – في إسلامه، ومحبته لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وإكرامه، وكان من السابقين إلى نصرة دين الله بنفسه، وماله، وأهله، ولقد شكر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم له ذلك، وأكرمه، وأكثر من الثناء عليه في أكثر من موضع، وموقف، وإليك بعض هذه المواقف:

أولاً- زيارة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لسعدٍ، وعيادته:

لقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يكثر من زيارة سعدٍ، ومن غشيان مجالسه، وقد رويت في ذلك أخبارٌ كثيرة منها ما مرَّ معنا في أخبار إكرامه لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وغيرها مما رواه أصحاب السنن، والسير، ومن ذلك ما رواه أكثر أصحاب السنن عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فجلس معنا في مجلس سعد بن عبادة رضي الله عنه، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نُصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك، فسكت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال: «**قولوا: اللهم صلِ على**

محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، والسلام كما عُلِّمتُم»[1].

ومرِض سعدٌ بعد مقدم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فعاده النبي بصحبة أسامة رضي الله عنه، فعن أسامة أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ركب على حمار على إكاف عليه قطيفة، وأردفه خلفه يعود سعد بن عبادة رضي الله عنه قبل وقعة بدر، فسار حتى مرَّ بمجلسٍ فيه عبد الله بن أبي بن سلول، وفي المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين واليهود، وفيه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة -غُبَارُها- خمَّر- غطى - عبدالله بن أبي أنفه بردائه، وقال: لا تُغَبِّروا علينا، فسلَّم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، ووقف، ونزل، فدعاهم إلى الله، فقرأ عليهم القرآن، فقال له عبد الله بن أبي: يا أيها المرء إنَّه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً، فلا تؤذِنا في مجلسنا، وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال ابن رواحة: بلى يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا، فإنَّا نحبُ ذلك، فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على دابته حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له: **أي سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب؟** - يريد عبد الله بن أبي - فقال سعد:

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٠٥)، وأبو داود برقم (٩٨٠).

يا رسول الله أعفُ عنه واصفح، فلقد أعطاك الله ما اعطاك، ولقد اجتمع أهل هذه البحيرة - البلدة- على أن يُتَوِّجوه، فلما رُدَّ ذلك بالحق الذي أعطاك الله شَرِق بذلك، فذلك الذي فعل به ما رأيت[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: كنا جلوساً مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ إذ جاء رجلٌ من الأنصار فسلَّم عليه، ثم أدبر الأنصاري، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **يا أخا الأنصار، كيف أخي سعد بن عبادة؟** فقال: صالحٌ يا رسول الله، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **من يعوده منكم؟** فقام، وقمنا معه، ونحن بضعةٌ ما علينا نعالٌ ولا خفاف، ولا قلانس، ولا قُمصٌ نمشي في تلك السباخ حتى جئنا، فاستأخر قومه من حوله حتى دنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأصحابه الذين معه[2].

ثانياً- إكرامه صلّى الله عليه وآله وسلّم لآل سعد رضي الله عنهم:

لقد كان من جملة إكرام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لسعد رضي الله عنه إكرامه لآل سعد، وذلك في صور عديدة وردت عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم، وإليك بعضاً منها:

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٩/ ٢٤٣.

صلاته صلّى الله عليه وآله وسلّم على أمِّ سعدٍ رضي الله عنهما:

كانت أمُّ سعد رضي الله عنهما عمرة بنت مسعود بن قيس بن عمرو من بني النجار من الخزرج. وكانت من فُضليات المسلمات، بايعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وتوفيت بالمدينة، ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم غائبٌ في غزوة دومة الجندل سنة خمسٍ للهجرة، وكان سعد بن عبادة معه في تلك الغزوة، فلما عاد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من الغزوة، ذهب إلى قبرها، وصلى عليها(١).

إكرامه صلّى الله عليه وآله وسلّم لقيس بن سعد رضي الله عنهما:

كان قيس بن سعد رضي الله عنهما سيداً، جواداً، فارساً، وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يكرمهُ إكراماً لأبيه رضي الله عنه، وكان بمنزلة صاحب الشرطة من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم(٢)، وله معه أخبارٌ كثيرة، ومن ذلك ما رواه زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: دخل سعد بن عبادة رضي الله عنه على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ومعه ابنه، فسلَّم فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**ها هنا، وها هنا**»، وأجلسه عن يمينه وقال: «**مرحباً بالأنصار، مرحباً بالأنصار**». وأقام ابنه بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقال: «**اجلس**» فجلس،

(١) تهذيب الكمال ١٠/ ٢٨٠ - مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٢٣٧- طبقات ابن سعد ٣/ ٤٦١.
(٢) تهذيب الكمال ٢٤/ ٤١.

فقال: «**ادنُ**»، فدنا، فقبل يَدَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ورجله، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**وأنا من الأنصار، وأنا من فراخ الأنصار**» فقال سعد: أكرمك الله كما أكرمتنا، **فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إن الله أكرمكم قبل كرامتي...»**[1].

ثالثاً - ثناء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عليه، ودعاؤه له:

لقد أكثر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من الدعاء لسعدٍ وآله، والثناء عليه، وسبق معنا شيء من كلامه في ذلك ومنه قوله: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة»[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أمر أبي بحريرة فصُنِعت ثم أمرني فأتيتُ بها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: فأتيته وهو في منزله، قال: فقال لي: ماذا معك يا جابر، ألحم ذا؟ قلت: لا، قال: فأتيت أبي فقال لي: هل رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ قال: قلت: نعم، قال لي: ماذا معك يا جابر ألحم ذا؟ قال: لعل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يكون اشتهى اللحم، فأمر بشاة لنا داجن فذبحت، ثم أمر بها فشُويت، ثم أمرني فأتيت بها النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال لي: **ماذا معك يا جابر؟**. فأخبرته فقال: **جزى الله الأنصار عنا خيراً ولا سيما عبد**

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٩/ ٢٤٣.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٥١٨٥).

الله بن عمرو بن حرام، وسعد بن عُبادة[1].

وعن أبي أسيد رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: **خير دور الأنصار بنو النجار، ثمَّ بنو عبد الأشهل، ثمَّ بنو الحارث بن الخزرج، ثمَّ بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير**. فقال سعد بن عبادة - وهو من بني ساعدة -: ما أرى النبي إلا قد فضَّل علينا، فقيل: قد فضلكم على كثير[2].

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٩/ ٢٤٢.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٥٧٨)، ومسلم برقم (٢٥١١).

الفصل السادس
في شيء من أخلاقه وأقواله رضي الله عنه:

أولاً - غيرته، وما روي عنه في ذلك:

الغيرة على محارم الله أمرٌ محمودٌ، مندوب إليه لأنها خلقٌ من أخلاق الله ولأنها دليلٌ على إباء النفس، وصفائها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إنَّ الله يَغَارُ، وغيرةُ الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله» وفي رواية مسلم: «وإنَّ المؤمن يغار»[1]. وقد ذكر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم غيرة عمر رضي الله عنه وأقرها حين قال: «**دخلتُ الجنة، أو أتيتُ الجنة، فأبصرتُ قصراً، فقلت: لمن هذا؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فأردتُ أن أدخله، فلم يمنعني إلا علمي بغيرتك**»[2].

وورد عن الزبير رضي الله عنه غيرته في حديث أسماء في البخاري ومسلم[3].

ولاشك أنَّ الغيرة تزداد كلما ازداد الشرف والسيادة، ولقد كان سعد ابن عبادة رضي الله عنه شديدَ الغيرة، وقد روي عنه في ذلك عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ**

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٢٥) - ومسلم برقم (٢٧٦١).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٩٢٨).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٩٢٦) - ومسلم برقم (٢١٨٢).

ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾. قال سعد سيدُ الأنصار: أهكذا أنزلت يا رسول الله؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**يا معشر الأنصار، ألاتسمعون ما يقول سيدكم!**» قالوا: يا رسول الله، لا تلمه، فإنه رجلٌ غيور، والله ما تزوَّج امرأةً قط إلا بكراً، ولا طلَّقَ امرأة له قط فاجترأ أحد منا أن يتزوَّجها من شدة غيرته.

فقال سعد: يا رسول الله، إني لأعلم أنها حق، وأنها من الله ولكني تعجبت أن لو قد وجدتُ لكاعاً قد تفخذها رجلٌ لم يكن لي أن أهيجه، ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء! فو الله إني لا آتي بهم حتى يقضي حاجته[1].

وفي رواية قال سعدٌ: لو أني رأيتُ مع أهلي رجلاً أنتظر حتى آتي بأربعة شهداء؟! فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **نعم**، قال: لا والذي بعثك بالحق لو رأيته لعاجلته بالسيف. فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**انظروا يا معشر الأنصار ما يقول سيدكم، إنَّ سعداً لغيور، وأنا أغير منه، والله أغيرُ مني**»[2] ثمَّ نزلت آية اللعان، بعد ذلك واستثني الزوج والزوجة من حدِّ القذف إذا لم يأتيا بأربعة شهداء، واكتُفيَ منهما بأربعة أيمانٍ عوضاً عنهم، وذلك لأن الغيرة تغلب عليهما.

---

(١) رواه الإمام أحمد، وأبو يعلى، مجمع الزوائد ٤/ ٣٢٨.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، مجمع الزوائد ٤/ ٣٢٨.

ثانياً- بِرُّه بأمِّه:

يتبين لنا بوضوح من الروايات عن سعدٍ رضي الله عنه مدى برِّه بأمه ووفائه معها، وقد سبق معنا أن عَمَرَة أمَّ سعدٍ توفيت وسعد متَغيبٌ عنها في غزوة دومة الجندل مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقد أكثر سعدٌ من الصدقة، وأعمال البرِّ وأهدى ثواب ذلك كله إليها.

روى الحسن وابن المسيِّب رضي الله عنهما عن سعد بن عبادة رضي الله عنه أنَّ أمَّه ماتت، فقال: يا رسول الله، إنَّ أمي ماتت، أفأتصدَّقُ عنها؟ قال: **نعم**. قال: فأيُّ الصدقة أفضلُ؟ قال: «**سَقيُ الماءِ**».

وعند أبي داود: فحفر بئراً: وقال هذه لأمِّ سعد[1].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن سعد بن عبادة رضي الله عنه أنه أتى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقال: إنَّ أمي ماتت، وعليها نذرٌ أفيُجزِىءُ عنها أن أعتِقَ عنها؟ قال: «**أعتِق عن أمك**»[2].

وعن ابن عباس أنَّ سعد بن عبادة ماتت أمُّه وهو غائبٌ عنها، فأتى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائبٌ عنها، أفينفعها إن تصدقتُ عنها؟ قال: **نعم**، قال: فإني أشهِدُكَ أنَّ حائطي المِخراف صدقة عنها[3].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٥/ ٢٨٤، وابن ماجه برقم (٣٦٨٤)، وأبو داود برقم (١٦٨١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٦/ ٧.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٦٢. والحائط: البستان.

ثالثاً- بعضُ ما روي من أقواله:

لقد أقلَّ الرواة من نقل أقوال سعدٍ، ولعل سبب ذلك تقدم وفاته، واعتزاله في الشام. وممَّا نُقِل من أقواله قوله لابنه:

يا بُني، أوصيك بوصيةٍ فاحفظها، فإن أنت ضيَّعتها فأنت لغيرها من الأمر أضيع. إذا توضَّأت فأتمَّ الوضوء، ثم صلِّ صلاة امرىءٍ مودع ترى أنَّكَ لا تعود، وأظهر اليأس من الناس فإنه غنى، وإياك وطلبَ الحوائج إليهم، فإنَّهُ فقر حاضرٌ، وإيَّاك وكلَّ شيء يعتذرُ منه[1].

وعن هشام بن عروة عن أبيه؛ كان سعد يقول:

اللهم هَب لي حمداً، وهب لي مجداً، ولا مجدَ إلا بفعال، ولا فِعالَ إلاَّ بمال، اللهمَّ، إنه لا يُصلِحُني القليل، ولا أصلح عليه[2].

وعن أبي سَبرة قال: **كان سعدٌ يبسطُ رداءه، ويقول: اللهم ارزقني الكثير فإنَّ القليل لا يكفيني**[3].

يُعَدُّ سعد رضي الله عنه من المقلين في الرواية عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقد روي عنه أحد عشر حديثاً وليس له شيء في الصحيحين.

---

(١) تهذيب الكمال ١٠/ ٢٨١.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٢٤٥.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٢٤٥.

ولو أن سعداً – رضي الله عنه – عُمِّرَ بعد وفاة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلّم زمناً طويلاً إلى أوان الرواية لأخرج لنا من جعبته الكثير من الأحاديث التي سمعها من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في صحبته الطويلة له، ولكنه لم يلبث بعده قليلاً حتى توفي.

الفصل السابع
أخباره مع أبي بكر وعمر، ووفاته رضي الله عنه:

توفي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولم يُسَمِّ خليفةً للمسلمين من بعده، وقد رويت عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أحاديث فيها إشاراتٌ إلى أبي بكر أو علي رضي الله عنهما، ولقد كانت صدمة وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شديدة على الصحابة الكرام جعلت الكثير منهم ينسى الأمور البدهية من الأحكام الشرعية، ولقد انشغل أكثر المسلمين بتجهيز رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وخاصة علي وبنو هاشم رضي الله عنهم، ولم يتنبه إلا الأنصار إلى ضرورة تنصيب خليفة على المسلمين يقوم برعاية شؤونهم، وكان الأنصار – وهم من أبلى مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في القتال والمعارك – يخشون إن توفي رسول الله، واستأثر القرشيون بالحكم وفيهم الطلقاء، والمؤلفة قلوبهم الذين قتل الأنصار إخوانهم، وأقرباءهم، فينتقموا لأهليهم، ولما يتمكن الإيمان بعدُ في قلوبهم.

وهكذا سارع الأنصار بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الاجتماع في سقيفة[1] بني ساعدة أو في بيت سعد بن عبادة كما ورد في بعض الروايات، وقام خطباؤهم، ومنهم سعد بإلقاء الكلمات التي تُشيد

(١) السقيفة: مكان واسع مغطى بورق الأشجار، وجريد النخل، وقد كانت سقيفة بني ساعدة في المدينة أشبه ما تكون بدار الندوة في مكة.

بالأنصار وفضلهم، ونصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وأنهم أحقُ من غيرهم بتولي أمر المسلمين من بعده صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وكان نبأ هذا الاجتماع الخطير قد بلغَ أبا بكرٍ، وعُمَرَ، وأبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، فأسرعوا إليه، فلمَّا حضروا أراد عمر رضي الله عنه أن يتكلم فأجلسه أبو بكر وقام خطيباً، فتكلَّم، فلم يترك شيئاً أنزل في القرآن، ولا ذكره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في شأنهم إلاَّ ذكره، ثم قال: ولقد علمتم أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «لو سلكت الناس وادياً، وسلكت الأنصار وادياً لسلكتُ واديَ الأنصار».

ولقد علمتَ يا سعدُ أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلّم قال وأنت قاعدٌ: «**قريشٌ ولاة هذا الأمر فَبِرُّ الناس تبعٌ لبرِّهم، وفاجِرُهم تبعٌ لفاجِرِهم**».

فقال له سعدٌ: صدَقت، نحنُ الوزراء، وأنتم الأمراء[1].

وهكذا فقد حَسم أبو بكرٍ - رضي الله عنه - خلافاً عظيماً كادَ أن يقع في بداية مسيرة الأمة بعد وفاة نبيّها، وحماها من شرخ كبير كاد أن يُمزِّقها.

ولم يكن أبو بكر - رضي الله عنه - يُريدُ البيعة لنفسه ولكنه كان يُريدُ

(١) رواه الإمام أحمد، مجمع الزوائد ٥/ ١٩١، وقال ابن حجر: رجاله ثقاتٌ. وعن علي رضي الله عنه: «ألا إنَّ الأمراء من قريش» رواه أبو يعلى، وعند الطبراني في الأوسط عنه رضي الله عنه: «الأئمة من قريش». وهذا الحديث من المتواتر معنى.

إنهاء أمرِ البيعة في نفس ذلك المجلس حتى يضمن انتهاء الفتنة، ودفنها في منبتها ولذلك فقد قال للأنصار: ولقد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين: عمرَ، وأبا عبيدة، فبايعوا أحدهما، فقام كلٌ منهما، وقالا: لا نرضى غيركَ خليفة وأخذا بيده فبايعا، وسارع الأنصار لبيعته رضي الله عنه.

وهكذا فإنَّ هذه الرواية عن أمرِ السقيفة تؤكد أن سعداً – رضي الله عنه – أقرَّ لقريش بالإمارة، وتوحي بأنَّهُ بايع أبا بكرٍ مع من بايعه، ولكنَّ الدساسين والوضَّاعين، وأصحاب الأغراض حاولوا تشويه الواقعة والإصرار على أنَّ سعداً توفي ولم يبايع أبا بكرٍ ولا عمر، وصاغوا لذلك رواياتٍ مشوَّهة، وهي مرويةٌ عن محمد بن عمر الواقدي، وهو كذَّاب، وضَّاع، متروك[1]. وقد ذكرها الذهبي[2] في سير الأعلام، وعلَّق عليها قائلاً:

إسنادها كما ترى[3]. وذلك لأنَّ إسنادها معلولٌ بالانقطاع بين رواته وكذبهم، أو ضعفهم، وأحسنهم حالاً مستورالحال.

---

(١) اتفق علماء الجرح والتعديل على جرح الواقدي وتركه: قال في تقريب التهذيب: متروك. وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب: عن أحمد بن حنبل أنه قال عن الواقدي: كذاب، وقال لي يحيى بن معين: ضعيف وقال مرة: ليس بشيء، وقال النووي في شرح المهذب في كتاب الغسل: الواقدي ضعيف باتفاقهم. وقال الذهبي في الميزان: استقر الإجماع على وهن الواقدي. وقال الدارقطني: الضعف يتبين على حديثه. راجع تهذيب التهذيب ٩/ ٣١٧، ٣١٨.

(٢) راجع هذه الأخبار في طبقات ابن سعد ٣/ ٤٦٣ - ومختصر ابن عساكر ٩/ ٢٤٥- وسير أعلام النبلاء ١/ ٢٧٧ - والاستيعاب ٢/ ٥٩٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ١/ ٢٧٧.

وقال ابن كثير: أمَّا بيعة الصديق؛ فقد روينا في مسند الإمام أحمد أنَّه سَلَّم للصدِّيق ما قاله من أنَّ الخلفاء من قريش[1].

ولقد ادَّعى كثيرٌ من المؤرِّخين أنَّ هوى سعدٍ والأنصار كان شيعياً مع عليٍّ رضي الله عنهم وعنه، ومن أجلِ ذلك لم يبايع سعدٌ أبا بكرٍ رضي الله عنهما. ونسوا أو لعلهم تناسوا أن الأنصار لَمَّا اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة كان اجتماعهم دون علم عليٍّ، ولم يذكر أحدٌ منهم أنه يريدُ البيعة لعليٍّ، ثمَّ لم يلبثوا أن بايعوا أبا بكرٍ طائعين مختارين، ثمَّ لم يلبث عليٌّ نفسهُ كرَّم الله وجهه أن بايع بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، أي بعد ستة أشهر من وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فلماذا لم يبايعْ سعدٌ على حسب زعمهم؟!

ثمَّ إنَّ سعداً - كما ذكرَ المحدِّثون والمؤرخون - قسَّم ماله بين أولاده[2]، ولحق بالشام مجاهداً في جيوش الفتح، وبقي هناك إلى أن توفيَ في بصرى الشام[3].

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ٢٨.

(٢) تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٤.

(٣) هذا وفي قرية المليحة- المنيحة- من قرى الغوطة الشرقية بمدينة دمشق قبرٌ منسوب لسعد بن عبادة رضي الله عنه، ولم يثبت ذلك، وأكثر المؤرخين - بل جميعهم - على أنَّ قبره في حوران. وقد بُني حديثاً مسجد، ومعهد شرعي، ومجمع إسلامي على قبره المزعوم في المليحة، وفتح القبر فلم يُرَ فيه أثرٌ وبقايا.

وقد اختلف المؤرخون في كيفية وفاة سعدٍ وتاريخها.

قال يحيى بن بكير، وعمرو بن علي: مات سنة ست عشرة.

وقال أبو عبيد: مات سنة أربع عشرة.

وعن يحيى بن بُكير، وابن عائشة أنه ماتَ سنة عشرة، وهذا يؤيد رواية المدائني عن يحيى بن عبدالعزيز عن أبيه أنه مات في خلافة أبي بكر. والعجيب أنَّ الواقدي روى عن يحيى بن عبدالعزيز أيضاً أنَّ سعداً توفي لسنتين ونصف من خلافة عمرَ! وهذا تأكيدٌ لكذبه[1].

والظاهر أنَّ الواقدي وجدَ في سعدٍ مصدراً لخيالٍ خصبٍ، وانفرد بنقل خبرٍ غريبٍ عن موت سعدٍ، والمُحزِنُ أنَّ كلَّ من أرَّخ لسعد ذكر هذا الخبر دون الإشارة إلى تكذيبه له.

روى ابن سعدٍ في الطبقات، عن الواقدي عن يحيى بن عبدالعزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة عن أبيه قال: توفي سعد بن عبادة بحوران.... فما عُلِمَ بموته بالمدينة حتى سمع غُلمان في بئرٍ في المدينة قائلاً يقول:

قَتَلنا سيدَ الخَزرَ ... جِ سعدَ بن عبادَهْ

رميناه بسهمين ... فلم نُخْطِ فؤادَه

(١) راجع هذه الاختلافات في سير أعلام النبلاء ١/ ٢٧٨ - طبقات ابن سعد ٣/ ٤٦٣-٤٦٤- وتهذيب الكمال ٢٨١، ٢٨٢.

فذُعِرَ الغلمان فحفظوا ذلك اليوم فوجدوه اليوم الذي مات فيه سعد فإنما جلس يبولُ في نفقٍ، فاقتُتِلَ فمات من ساعته - يقصد قتله الجنُّ! - ووجدوه قد اخضرَّ جلده.

ولو صحَّ هذا الخبرُ الغريب، لـمَا انفردَ به الواقدي دون غيره ممن روى خبر موت سعدٍ.

ولم يختلف المؤرخون أنه وجِدَ ميتاً في مُغْتَسَلِه، وقد اخضَرَّ جَسَدُهُ[1].

وحدَّثَ الإمام مالكٌ أنه بلغه أنَّ راهباً كان بالشام، فلما رأى أوائل أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم الذين قدموا الشام قال: والذي نفسي بيده ما بلغ حواري عيسى بن مريم الذين صُلبوا على الخشب ونشروا بالمناشير ما بلغ أصحاب محمدٍ من الاجتهاد.

قال عبد الله بن وهب: فقلت لمالك يسميهم، فسمَّى أبا عبيدة، ومعاذاً وبلالاً، وسعد بن عبادة، رضي الله عنهم أجمعين[2].

(١) يقول الطب الحديث اليوم إنَّ اخضرار جسد الميت يعود إلى توقف حركة الدم في جسده، ويظهر بعد عدة ساعات من الوفاة، وبما أن سعداً توفي في مُغتسله فإن الرطوبة وارتفاع الحرارة يُعجّل من ذلك.

هذا وقد كان الناس يحبون أن يلجؤوا إلى تفسير الأشياء الغريبة بأمور غيبية أو نسبتها إلى الجن.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/ ٢٤٦.

الفصل الثامن
بعض أخبار ولده رضي الله عنه

ذكرَ ابن سعدٍ لسعد بن عبادة رضي الله عنه ستة أولاد هم:

سعيد، ومحمد، وعبد الرحمن وأمُّهم غَزِيَّة بنت سعد بن خليفة بن الأشرف من الخزرج.

وقيس، وأمامة، وسدوس ،أمُّهم فكيهة بنت عبيد بن دُليم ابنة عَمِّه.

وقد كان من أولاده، وأحفاده عددٌ من العلماء والمحدِّثين، وإليك بعضاً من أخبارهم:

١- قيس بن سعد بن عبادة:

أحدُ الصحابة الأجواد، كان مُقَرَّباً من النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم واستعمله على صدقات زبيد، وأعطاه راية الأنصار يوم فتح مكة.

كان مع علي في حروبه مع خصومه، وكان أميراً على كتيبة فيها ثمانمئة من الصحابة، وولاه عليٌّ مصر، ثمَّ كان مع ابنه الحسن، ثم وفدَ على معاوية وصالحه.

كان من دُهاة العرب، وأجواد المسلمين، وله في الجود قصص كثيرة منها ما رواه سفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح أنَّ سعد بن عبادة قَسَمَ ماله بين ولده، وخرج إلى الشام فمات، وولد له ولدٌ بعد موته،

فجاء أبو بكر، وعمر إلى ابنه قيس بن سعد، فقالا: إنَّ سعداً – يرحمهُ الله – توفي ولم يَعلم ما هو كائن، وإنَّا نرى أن تردوا على هذا الغلام. فقال قيسٌ: ما أنا بِمُغَير شيئاً صنعه سعد ولكن نصيبي له.

وكان قيسٌ طويلاً إذا ركب الدابة تخطُ قدماه في الأرض.

تزوَّج من قريبة بنت أبي قحافة – أخت أبي بكر– وتوفي في خلافة معاوية في المدينة. وروى عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ثلاثة عشر حديثاً[1].

٢- إسحاق بن سعد بن عبادة:

روى عن أبيه، وروى عنه سعيد الصواف، وله في سنن أبي داود حديثان[2]. ولم يذكره ابن سعد في أولاد سعد بن عباده.

٣- سعيد بن سعد بن عبادة:

كان والياً على اليمن في خلافة عليٍ رضي الله عنه، روى عنه أبو أمامة ابن سهل بن حنيف. وابنه شُرَحبيل، وله رواية عن أبيه. ويُشَكُ في صحبته. قال ابن عبد البر: وصحبته صحيحة[3].

(١) راجع أخبار قيس بن سعد في تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٠-٤٧ - مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١/ ١٠٢-١١٤ وطبقات ابن سعد ٦/ ١٢١، ١٢٢.

(٢) تهذيب الكمال ٢/ ٤٢٨.

(٣) الاستيعاب ١٠/ ٤٥٨.

وولده: شرحبيل بن سعيد بن سعد بن عبادة:

روى عن جدِّه، وأبيه، وعنه ابنه عمرو بن شرحبيل، وعبد الله بن محمد ابن عقيل.

ذكره ابن حبان في الثِقات، وروى له النسائي حديثاً واحداً[1].

وولده عمرو بن شرحبيل:

روى عن أبيه وجدِّه، وروى عنه ولداه عبدالرحمن، وسعيد، وعبدالله بن محمد بن عقيل، ومحمد بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة. ذكره ابن حبان في الثقات[2].

وولده سعيد بن عمرو بن شرحبيل:

روى عن أبيه، وعنه كثيرون منهم الإمام مالك بن أنس. ذكره ابن حبان في الثقات، وقال عنه النسائي: ثقة[3].

---

(١) تهذيب الكمال ١٢/ ٤١٧.

(٢) تهذيب الكمال ٢٢/ ٦٠.

(٣) تهذيب الكمال ١١/ ٢٢.

الخاتمة

وهكذا فقد كُنَّا مع رجلٍ من أصحاب محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم اجتمعت فيه صفاتٌ قلَّما وجدت في غيره، فقد كان سيداً شريفاً في الجاهلية ورثَ الشرف والمجد عن آبائه وأجداده، ثمَّ أشرق الإيمان والإسلام في صدره، فازداد به شرفاً إلى شرف، ومجداً إلى مجد؛ وكانت له في نصرة الإسلام، ونصرة نبيه مواقف سجلها التاريخ، فلاتُمحى إلى يوم القيامة.

ثمَّ ختم حياته مجاهداً، مُرابطاً رضي الله عنه، وأرضاه.

الفهرس

هـذا الـرجـل	.....	٥
المقـدمـة	.....	٧
الفـصل الأول:	دراسة موجزة عن عصر سعد رضي الله عنه	٩
الفـصل الثـاني:	فضل الأنصار وثناء رسول الله ﷺ عليهم	١٥
الفـصل الثـالث:	إسلام سعد بن عبادة رضي الله عنه، وحضوره المواقف مع رسول الله ﷺ	١٩
	مشورة رسول الله ﷺ لسعد بن عبادة	٢٦
الفـصل الرابع:	جود سعد وسخاؤه،وإكرامه لرسول الله ﷺ	٢٩
	أولاً – جود سعد وسخاؤه	٢٩
	ثانياً – إكرامه لرسول الله ﷺ	٣١
	جفنة سعد	٣١
	النبي ﷺ يستحم عند سعد رضي الله عنه	٣٤
	إكرامه – رضي الله عنه – لضيوف رسول الله ﷺ	٣٥
الفـصل الخامس:	إكرام رسول الله ﷺ لسعد وأهله، وثناؤه عليهم	٣٧
	أولاً– زيارة النبي ﷺ لسعد، وعيادته	٣٧
	ثانياً – إكرامه ﷺ لآل سعد رضي الله عنهم	٣٩
	صلاته ﷺ على أم سعد رضي الله عنهما	٣٩

	إكرامه ﷺ لقيس بن سعد رضي الله عنهما.....	٤٠
	ثالثاً – ثناء رسول الله ﷺ عليه، ودعاؤه له.....	٤١
الفصل السادس:	في شيء من أخلاقه وأقواله رضي الله عنه.....	٤٣
	أولاً – غيرته، وما روي عنه في ذلك.....	٤٣
	ثانياً – بره بأمه.....	٤٤
	ثالثاً – بعض ما روي من أقواله.....	٤٥
الفصل السابع:	أخباره مع أبي بكر وعمر، ووفاته رضي الله عنه.....	٤٧
الفصل الثامن:	بعض أخبار ولده رضي الله عنه.....	٥٣
الخاتمة:	.....	٥٩

Obelisk
(01) 4983392